معجم عدائي

بقلم الاستاذ سعيد الياسي

٦

في الحقيقة والمجاز والشواهد والفروق وسواها

اشرنا في صدر هذا البحث (المشرق سنة ٥٤ ص ٦٩٩) الى عدة قواعد استهدفها المؤلف في « المعجم » ابتغاء الدقة والايضاح فنعم الخطة . الا ان السر في مدى التوفيق بسلامة التطبيق ، فحق علينا الالمام بهذه التفاريق سراعاً باشارات مقتضبة ، تاركين للشيخ النظر بها والعمل بما يرتضيه منها .

أ – في الحقيقة والمجاز

مثال اول — قال في مقدمة مادة « ابَّ » (ص ٢٦ طبعة الاولى) .

« – و(مجازاً من الاخضرار) اشتق منه للحنين الى الوطن يلاحظ ان المغترب مثلاً كالفسيل اليبس يداخله الحنين يتهزه ويخضر ويتجدد » . . . .

وفي ظننا اننا اثبتنا بما فيه الكفاية والى حدّ اليقين (المشرق سنة ٥٤ ص٧٠٦) ان « ابَّ » معناها حرّك وان « ابَّ الى وطنه » معناه تحرك قلبه اليه حنيناً.

بناء عليه لم تكن مقدمة مادة « ابَّ » الا شعراً نفيساً مبعثه ذكاء فرّار الى خيال خصب . اما ان يكون علماً يقيناً فلا دليل عليه ولا اسناد فيه .

مثال ثانٍ — قال في مادة « أبَت » (ص ٢٨ طبعة اولى) .

(و« مجازاً » يسوغ ان نقول : ابت الممثل قام باداء دوره في حرارة ، تادية للعبارة الفرنسية (Bruler les planches (acteur).

والذي نفهمه من هذه العبارة ان الممثل كان سريع الحركة شديدها لبقاً بالاداء. حتى كأنه يلهب الخشاب الملعب او يمشها حيّة ومنه تنبعث الحرارة في الحضور المشاهدين .

وليس لأبَت عندنا مثل هذا المعنى (راجع المشرق ص ٨٣ سنة ٥٥) بل معناها انقطاع الحركة (عبارة المعاجم : ابت اليوم سكنت ريحه) فباسناد انقطاع الحركة الى اليوم ينشأ اشتداد الحر .

اما اسناد عدم الحركة الى الممثل فينشأ عنه المعنى المعاكس عيناً اي ان

الممثل جمد وسكت حتى نام الحضور او كادوا .

مثال ثالث — ابر الشاة .

واذا صح ان في المثلين السابقين مجالاً للجدل اخذاً وردًا وبالتعبير القديم اذا كان فيهما قولان فلا يمكن ان يكون في هذا المثال الثالث الا قول واحد. فالغرابة فيه لا تكاد تصدق من مثل الشيخ اذ قال (ص ٣٣) .

« و « مجازا » ابر الشاة اطعمها الابرة » .

فكيف تطعم الشاة الابرة مجازًا ؟ اليس المجاز هنا مستحيلاً واطعام الشاة الابرة حقيقة مادية ملموسة . نعم لو اورد مثل قولك ابر الانسان بمعنى وخزه بالكلام على حدّ قولهم القمه حجرًا بمعنى افحمه لامكن القول ان هناك مجازًا . اما ان يقال ابر الشاة اطعمها الابرة مجازا فكفر بالمحسوس لا يصح بعده شيء في الافهام .

مثال رابع — ابد الشاعر والرجل .

وبالعكس من ذلك فقد اصاب المؤلف حيث قال : (ص ٣٠) . .

« و « مجازًا » ابدّ الشاعر : أتى بالعويص ، و — الرجل : عزف عن النساء » الخ .

٢ — في التنزيل والنقل

التنزيل يؤخذ به ولا يؤخذ عليه الا اذا نقل خطأ وهـذا بعيد الاحتمال لذلك نتجاوز عنه .

٣ — في الشواهد والفصح النهجية

الشواهد هي اللغة بالذات فلا بدَّ منها تحقيقاً للمعنى وضبطاً لرماه فالشروح وحدها تقصر عن ايراد المعنى كاملاً بحقيقته ومداه وليس الا الشاهد الصحيح يهدي الى الصواب ويعصم من الاشكال .

وملاحظتنا بهذا الشأن ان المؤلف لم يستوف الشواهد استيفاء وافيًا بالمتن اللغوي ولو فعل بايراده للنصوص اللغوية والقيام على الاخذ بها لعدّل اراءه . (تراجع الشواهد التي اوردناها في تحقيق معنى «اب» ص ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ المشرق سنة ٥٤) ومعنى « ات » (اتا اتى اتّ) ومعنى « اث » و « ابَتَ » و « أبَثَ » و « أبَد » (من الصفحة ٧٥ الى الصفحة ٨٨ المشرق سنة ٥٥) .

وبالعكس من ذلك فقد اكثر المؤلف من نصوص يرويها على انها فصح نهجية وهي لم تجيء لخدمة المتن اللغوي بمقدار ما جاءت لترصيعه بآيات بيانية

بلاة . فمع صرف النظر عن نفاستها [illegible] تروى او محجرات كأنها المومياء. فهي بعيدة عن الجانب اللغوي . والمعجم انما مورده اللغة اولاً فالحاجة ماسة الى شواهد لغوية قبل الشواهد الادبية البيانية الا ما اصاب الغرضين فهو خير وابقى .

٤ – في الفروق

قال المؤلف : « هي ملامح دقيقة تدخل في حدّ التسوية والتدقيق » (مقدمة المعجم الطبعة الاولى ص ٢٠) فلم نفهم ما يعنيه بالتسوية وبتصفحنا المعجم وقفنا في مادة الابد (ص ٣١ عمود ١) على قوله :

(« فروق » اصطلاحيًا الابد في جنب المستقبل كالازل في جنب الماضي . . .)

ثم قوله في الابدي (الصفحة نفسها عمود ٢)

(« فروق » الابدي يقابله الازلي والسرمدي يعمها جميعًا . . .)

فهذا كلام مغلق علينا ولعله يقصد ان الابدي ما له بداية دون نهاية والازلي بالعكس والسرمدي لا نهاية ولا بداية له .

وهذا غير مفهوم من نصوصه بل مفهومنا نحن تقديرًا . واما قوله (في مادة الآبق صفحة ٤٣) .

(« فروق » الفارّ من المولى تمرداً آبق والّا فهو هارب. ومثله الفرار من بلد او محلة) .

فهذا كلام مفهوم ولكنه غير مسند وللقارئ ان يتساءل من اين هذه الفروق وما تعليلها ؟ ومثله التفريق بين اجن واسن ص ٨٧ .

وكذلك قل في « الاجر لا يكون الا داخل عقد وفي المنافع والجزاء يقال مطلقاً » (ص ٧٩ عمود ١) فما هو تعليله ومن قال به .

وحبذا لو توفق بالفروق توفيقه ص ٥٠ حيث قال : « من ولدك دون فاصل والد ، والاب اعم فيطلق على الجد والاصول القديمة » فالتفريق واضح صحيح بل مثال يحتذى .

٥ – في الكنايات

سقطنا من الكنايات على تأبط شرًا وهي مألوفة فلها حق بحثها في « المعجم » واما ابن أياس : الداعر الفاجر وابن أيس : الذليل المهين فيها كامنها أياس : المرأة السليطة السيئة الخلق فيها خليقانُ بالحذف والاولى حذف المادة برمتها

لندرتها في الاستعمال ان لم تكن مماتة . ولو خيرت لاخترت ايرادها بأدق حرف في الحواشي ابقاء على فائدتها التاريخية ليس الا .

ولو لم نقع اخيراً على الآبق من رضوان كناية عن الجميل الاخاذ لبقينا نتعوذ من شيطان تأبط شراً واباس وابنيها فحمدنا حسن المآل .

٦ً – في التراكيب

في التراكيب الفرض والنفل والغث والسمين من أبتة الغضب ص ٢٨ وابانه ص ٢٧ وابد الاباد وابد الابد . . وابد الدهر والمود المؤبد ص ٣١ وزمن الابار ص ٣٣ .

وحسبك مركبات الابرة فهي معجم اضافي يصح الاستغناء عن اكثره .

٧ً – في المولد والدخيل

من الضرورات العلمية معرفة الشيء باسبابه البعيدة والقريبة لذلك كان لا بد من بيان اصل الكلمة ومرجعها وقد اعتنى المؤلف بتعيين المولد والدخيل ولكن ينقصه دائماً الاسناد .

فجولة سريعة في المعجم يظهر منها قوله : مولد لبناني . مصري . عام الخ . الا اننا لم نعثر باسناد واحد . مثاله قال : « اباض : اداة توقيف او تخفيف (Frein) مولد » فترى اين ورد استعمال اباض بهذا المعنى ؟ في اي قطر ام في اي كتاب ؟ ومثله عهون ص ٢٥ مولد شامي .

واما قوله « تأبّدَ الشيء : صار ابدياً . مولّد قديم » فلماذا يكون مولداً والمادة « ابد » تحتمله فلا يصح ان يدعى مولداً ولو تأخر رواجه في الاستعمال .

بعكس قولنا الوقف المؤبّد او الحكم المؤبّد فهما من المولّد . اما « الابد » فلا ندري لماذا يكون مولداً قديماً او من الفارسية والمادة عربية اصيلة لا يصح معها احد الفرضين .

٨ً – في العنصر الموسوعي

قصد المؤلف « الى ادخال العنصر الموسوعي في معجمه باختصار » فله رأيه .

ورأينا ان الخطة العلمية على العكس عملاً بقاعدة التخصيص وبساطة الترتيب . كما ان الحاجة ماسة الى بذل الجهد في تحقيق المتن اللغوي ووضعه في نصابه الصحيح حتى اذا استوفت اللغة حقها امكن الالتفات الى العنصر

لموسوعي ومن الاشارة . « الذي يكثر من لا يحسن » على حد قولهم بالفرنسوية qui trop embrasse mal etreint من تسع بطاقه ساء وانه او celui qui ne sut se borner ne sut jamais écrire من لا يقتصر لن يحسن الكتابة . وقد جاء الواقع مصداقاً للتوقع فحرف الالف سيزيد على ٥٠٠ صفحة بالقطع الكبير مما يثقل اقتناء المعجم فتفوت الفائدة المتوخاة من مراجعته .

واذا نظرنا بموادهِ التي تكلف ايرادها وشرحها نرى اكثرها غريباً قلما تمسُّ الحاجة اليهِ من مثل ابا بيت ، ابو غريف ، ابو غربني ، ابتمون ، ابراكادبرا ، ابرامس ، ابركساس ابراكسيس الى الافراتوية بدعة افراتيوس .

وعليه نرى ان يقتصر المعجم المألوف المطاوب واتقان المادة اللغوية باجادة سبكها تأصيلاً وتفريعاً واسرها بمنطق سديد .

٩ – الوضع الجديد

لنا على الوضع الجديد ملاحظات جمّة .

واولها ان اللغة وليدة الاستعمال تنشأ بالسليقة لا توضع وضعاً ولا يجوز لاي كان مهما عظم شأنه وعلمه ان يستأثر بخلقها وكلّ ما يحق للقوي ان يقبل اللفظة فيدخلها في المعجم وعند الضرورة يقوّم من اعوجاجها ويضبط صيغتها كما له رفضها اذا جاءت غير مأنوسة او خارجة على النهج اللغوي وذلك لان العامة قد لا تتعرّف على الاوضاع المستحدثة بسهولة فتبقى حرفاً مهملاً لديها وتنحصر بالخاصة مما يؤدي الى ازدواج اللغة ويزيد في الطين بلة . الم يضع احدهم الصعق وآخر الشاري. وظل الجمهور يستعمل الحربة التي ابتكرها وتعارف عليها فدرجت على لسانه وبات يفهمها وحدها .

وهذا معقول منطقي لان كلا من الفلاح والنجار والحداد والتاجر وسواهم من سواد الشعب مسوق الى ابتكار اللفظ الذي يؤدي مراده الماثل في ذهنه هو لا في ذهن اللغوي فهو اولى بالاختيار كما يختار الوالد اسماً لابنه حتى اذا فعل يأتي دور اللغوي بالقبول او الرفض او التصحيح .

طالع الصفحة ٣٢ من المعجم الطبعة الثانية تجد المؤلف يقترح تخصيص لفظة ابزيم بما تسميه العامة بكلة وابزام للدقر والعائق او الساقط او الناجور الخ والابزيت للكبشة ويبقى لك رأيك في ايها افضل .

وهذا موضوع رحب يضيق المقام عن استيفائه .

وثانيا بفرض جواز الاقتراح على اعتبار المؤلف احد الافراد فلا يجوز ادخال المقترحات في صلب المعجم تبعاً لمراده مادة مادة على التوالي اذ لا يستطيع القارئ تمييزها من الاصل الاصيل برغم المثلث الاسود الفاحم فلا بدّ من افرادها على حدة في اخر الكتاب او على الاقل في آخر كل حرف او في الحواشي .

وثالثا اذا صرفنا النظر عن كل ذلك فالمقترحات التي ابداها المؤلف لم ترد من جذور مناسبة للمعنى المقصود ولا مصوغة وفقاً للموازين التي قررها المؤلف وقد تكلمنا عليها (ص ٢٨٣ وما يليها) مثاله قال في الصفحة ٢٧ ما نصه :

الاب اليابس من الفاكهة . يشتق بلاحظته الآبة (فاعلة) : آلة تجفيف الفاكهة .

فلاحظتنا عليها اولاً ان جذر « ابّ » عند المؤلف معناه في الساميات عامة : دبيب الحياة وتجدد النضرة والخصوبة وفي ذاتة العربية جمع العزم وصبه في حركة ونزوع . فمن اين جاءه الان اليبس والجفاف والتجفيف .

اما عندنا فمعنى « ابّ » : حرك فلا يمكن ان تصرف الى معنى جديد .

وثانياً لماذا مخالفة الموازين واستعارة صيغة « فاعلة » لاسم الآلة مع ما لدينا من الصيغ العديدة : مِفعَل (مقود) مِفعَلة (مكنسة) مفعال (مفتاح) فِعال (زِمام) فَعّالة (قداحة) الخ .

ورابعا ان كل الامم تسعى لتنقية لسانها من العناصر الدخيلة حتى الاتراك انفسهم راحوا يعملون لحصر لسانهم بعنصره الاصيل فقال قائل ان نصف لسانهم مستعار من العربية والنصف الاخر من الفارسية فاذا استُبعدا فاذا يبقى لهم .

ونحن لدينا لسان مبين معدنه اصفى من البلور نضن به ان يطمس عليه بدخيل غريب لا حاجة ماسة اليه من مثل :

اباجة ، ابجنة ، ابرج ابزجة ، ابرل ابرلة وابروله وهذا حسبنا .